

يوم تغيّرت خريطة المواجهة في الشرق الأوسط إيران وإسرائيل: ماذا لديهما عسكرياً؟

في موازين القوة العسكرية الصرفة، تبدو كفة إسرائيل مرجحة على إيران. لكن تجارب التاريخ تظهر ان مصائر الحروب لا تحسم فقط في ميادين المعارك العسكرية المباشرة وحدها. وإذا كانت إسرائيل تخفي اخطر اسلحتها المتمثلة في قنابلها النووية السرية، وتستخدمها كما تدعي، من اجل "الردع" فقط، فان سيناريو المواجهة الكلاسيكية، حساباته شائكة

تكون احيانا مثابة عائق، وحيانا مثابة فرصة. المسافة الجغرافية تسمح للطرفين باتقاء وتجنب الاشتباك المباشر، وتفرض عليهما بشكل او بآخر، البحث عن ادوات اخرى للمواجهة، من خلال مثلا النشاط المخبراتي وتجنيد العملاء وجمع المعلومات والعمليات السرية والاعتقالات والتفجيرات والحرب السيبرانية وغيرها. منذ تفجر الثورة الاسلامية في إيران العام 1979، واعتراف إيران الفوري بفلسطين وتسلمها السفارة الاسرائيلية سابقا في طهران، ثم الغزو الاسرائيلي للبنان، وبداية الدخول الايراني ان صح التعبير الى الساحة اللبنانية، من خلال الخلايا الاولى للحرس الثوري لتدريب مجموعات مقاومة، بدأت خريطة الصراع تتخذ اشكالا اخرى.

لكن الثابت ان الدعم العسكري الغربي لاسرائيل ظل راسخا، من الفرنسيين الذين ساعدوها في امتلاك القدرة العسكرية النووية، وصولا

عندما رسم الفرنسي فرانسوا جورج بيكو والبريطاني مارك سايكس خرائط جديدة لمنطقة الهلال الخصيب وغرب اسيا وتقاسم اراضي الدولة العثمانية المهزومة في الحرب العالمية الاولى، والتي "تنازل" بعدها الفرنسيون عن فلسطين لصالح البريطانيين، فان ذلك شكل تمهيدا متدرجا لبدء الاستيطان الصهيوني ثم قيام اسرائيل. ولم يكن على ما يبدو، يخطر في بال سايكس وبيكو قبل اكثر من 100 عام، ان المحيط الجغرافي الاكثر بعدا نحو الشرق في إيران، سيتحول ليكون خط تماس عسكري، قد يلهب المنطقة.

النقطتان الاقرب بين إيران واسرائيل تبلغ 2100 كيلومتر. ونظريا، يحتاج الطرفان الى اسلحة الجو والصواريخ للاشتباك المتبادل، لكن القدرات العسكرية والوقائع الجغرافية والتحالفات والتمركزات، تفرض مشهدا مختلفا للمواجهة التي من الصعب على الخبراء تقدير نهاياتها ونتائجها.

عندما اتيح لاسرائيل، ودعمت غربيا، البدء ببرنامج تسليحها النووي في خمسينيات القرن الماضي، اي بعد سنوات قليلة على كارثتي هيروشيما وناغازاكي في اليابان مع نهاية الحرب العالمية الثانية، بنت اسرائيل ترسانتها من القنابل النووية تدريجا في اطار رؤيتها لـ"الخطر" المتصور الاتي من العواصم المحيطة بها مثل القاهرة ودمشق وبيروت وبغداد وعمان. لم تكن طهران، الملكية المتحالفة مع الغرب، في حسابات الهواجس الاسرائيلية وقتها. تبدل الكثير في المشهد الاقليمي خلال العقود الاربعة الماضية. تبدل شكل الصراع وانماط المواجهة والاشتباك، وتبدلت خرائط الخصوم والحلفاء، في الجغرافيا والسلاح. الـ2100 كلم



احدى مسيرات هرمز 450.



من طائرات الشبح التابعة لسلاح الجو الاسرائيلي.

جوية مجاورة جغرافيا لإيران لشن مثل هذه الهجمات. بعد التهديدات الاسرائيلية الاخيرة ضد الفلسطينيين في غزة وحتى ضد إيران خلال حرب غزة، بالتلميح بالخيار النووي، فقد بدأت اصوات في طهران تتساءل عما اذا كان "الالتزام" النووي الايراني القائم حتى الان، وفتوى التحريم النووي، تحمي إيران في صراعها الصراع اللامتناهي مع الكيان الاسرائيلي الاكثر جنوحا نحو التعصب القومي.

لكن الاكثر خطورة في ما تراه طهران تدريجا ان اسرائيل تمكنت على مر السنين من اسقاط احد اهم الخطوط الحمر، باستسهال استهداف الامن الايراني الداخلي، سواء بسلسلة الاعتقالات التي طالت بعض ابرز العلماء النوويين وبرامج التسليح الايراني، او بتفجيرات طالت في احيان كثيرة، مواقع خاصة بالبرنامج النووي ومصانع السلاح او الطائرات المسيرة، وان اسرائيل باتت بذلك تعتبر ان من الطبيعي لها ان تتعامل مع الجمهورية الاسلامية في إيران بالاعتداء والخروقات الامنية، مثلما تتعامل مثلا مع سوريا ولبنان والعراق، وهي معادلة ليس في امكان طهران التعايش معها.

لهذا، ولاسباب كثيرة، فان العديد من الخبراء، لا يستبعدون حصول منازلة كبرى بين الطرفين، تتخطى شكل المواجهة الحالية القائمة بينهما، وتتجاوز ما جرى في منتصف نيسان 2024، عندما اطلقت إيران نحو 300 صاروخ وطائرة مسيرة على اسرائيل.

لا بد من اخذ العديد من الحقائق الاخرى في الاعتبار الى جانب البعد الجغرافي البالغ اكثر من الف كيلومتر، وهي ان إيران اكبر مساحة من اسرائيل (1.6 مليون كلم مربع، مقابل 22 الف كلم مربع). وبينما يبلغ عدد سكان إيران نحو 90 مليون نسمة، فان عدد الاسرائيليين يبلغ نحو 10 ملايين نسمة، ولكن 73% هم يهود، اي ان عدد الايرانيين يماثل 9 امثال تعداد سكان اسرائيل.

وفي حين ان عديد الجيش الايراني يبلغ نحو 534 الف جندي، بالاضافة إلى 400 الف في الاحتياط، وهو بذلك اكبر قوة عسكرية في الشرق الاوسط، بحسب المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية، فانه بذلك يعادل 6 امثال تعداد الجيش

بشرية يصل عددها الى نحو 47 مليون شخص من اجمالي سكانها، مقابل نحو 3 ملايين شخص من مجموع سكان اسرائيل.

في كل الاحوال، فانه بسبب الحقائق الموجودة، فان خيار قيام اسرائيل بغزو بري لإيران ليست قائمة، في حين ان في مقدور إيران في المقابل ان ترعى او تمول او تساهم في غزو بري ضد عدوتها، انطلاقا من الدول المحيطة في حال نشوب صراع كبير وطويل. ويعتقد الخبراء مثلا ان الدعم

الاسرائيلي الذي لديه في الخدمة، حوالي 170 الف فرد، الى جانب حوالي 445 الفا في الاحتياط. لكن الخبراء يقولون انه في زمن التكنولوجيا المتطورة خصوصا على صعيد الاسلحة الممكن استخدامها عن بعد، فان الغلبة العددية قد لا تكون عنصرا حاسما في المواجهة، ومع ذلك، فانه في سيناريو صراع طويل الامد، قد تكون الاعداد عاملا مهما في مسار الصراع، حيث في امكان إيران الاستفادة بشكل مباشر من قوة



نظام باور الايراني.

فيبلغ مداها 1400 كيلومتر، ومن الممكن اطلاقها من "جبهات المساندة" لمحور المقاومة الاكثر قربا من الحدود مع اسرائيل. وفي مجال الدفاع الجوي، في حوزة طهران ايضا منظومات "اس - 300" الروسية المضادة للطائرات والصواريخ منذ العام 2016، في حين طورت من جهتها منصات صواريخ ارض - جو من طراز "باور - 373" بالإضافة إلى منظومتي الدفاع "صياد" و"رعد".

في المقابل، من المعتقد ان لدى اسرائيل التي تعتبر من الدول الرائدة في المجال التكنولوجي للطائرات المسيرة، مسيرات من طراز "هيرون" القادرة على التحليق لأكثر من 30 ساعة، وهو ما يكفي لتنفيذ عمليات بعيدة المدى. وكادت اسرائيل تتباهى ايضا بامتلاكها طائرات من نوع "هرمز" التي اسقطت منها المقاومة في لبنان خلال الشهور الماضية 7 من طرازات "هرمز 900" و"هرمز 450" بالإضافة الى "سكاي لارك". في ما يتعلق بسلح البحرية، لدى ايران اسطول من 220 سفينة، و25 غواصة. وفي المقابل، لدى اسرائيل نحو 60 سفينة عسكرية، بالإضافة الى 6 غواصات. وفي حين ان الخبراء يقولون ان الغواصات الاسرائيلية تتيح لاسرائيل توجيه ضربة عن قرب لايران، خصوصا انها قادرة على اطلاق صواريخ نووية، الا انهم يقولون ايضا ان قواعد الصواريخ المحصنة في الجبال، تتيح لايران ميزة "الضربة الثانية".

في مقابل ترسانة ايران من الصواريخ والمسيرات، بالإضافة الى حلفائها في المنطقة، فان اسرائيل تتمتع بنظام دفاع جوي متعدد الطبقات، تم تطويره بدعم مباشر من الولايات المتحدة منذ حرب الخليج العام 1991. ومن بين ما تمتلكه اسرائيل، نظام "ارو - 3" (السهم) القادر على اعتراض الصواريخ الباليستية في الفضاء، بينما يعمل "ارو - 2" على ارتفاعات اقل. وهناك ايضا نظام "مقلع داود" متوسط المدى للتصدي للصواريخ الباليستية وصواريخ كروز. اما نظام "القبة الحديدية" الذي يتصدى اساسا للصواريخ وقذائف الهاون كالتى تستهدفها من مسافات قريبة، فانه قادر ايضا على المساعدة في التصدي للصواريخ التي تتخطى منظومتي "ارو" و"مقلع داود".

ومن بين هذه الصواريخ تحديدا، صواريخ "سجيل" التي في مقدورها قطع اكثر من 17 الف كلم في الساعة وهدى يصل إلى 2500 كلم، وذلك بالإضافة الى صواريخ "خير" التي يصل مداها الى 2000 كيلومتر، ومجهزة برؤوس حربية شديدة الانفجار بزنة 1500 كيلوغرام، في حين ان من الصعب، بسبب سرعتها الفائقة، اعتراضها وتدميرها. أما صواريخ "الحاج قاسم"،

لتصنيع وتطوير المسيرات والصواريخ. ومن المعتقد ايضا ان ايران استفادت خلال العقد الماضي، من خبرات الكوريين الشماليين في صناعة الصواريخ، بالإضافة الى تعاونها غير المحدد مع روسيا. ويعتقد بعض الخبراء ان لدى ايران عشرات الالاف من صواريخ ارض - ارض بعضها يحمل رؤوسا حربية تزن نصف طن، العديد منها قادر على الوصول الى اسرائيل.



مسيرات إيرانية في قاعدة تحت الارض.



مفاعل ديمونا الاسرائيلي.



غواصة دولفين الاسرائيلية.

وتطوير اسطولها هذا فعليا بسبب العقوبات الاميركية والغربية التي حالت دون حصولها على مقاتلات غربية حديثة او سواء قطع غيار لطائراتها. وبحسب المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية، فان لدى طهران سرب من 9 طائرات من "اف - 4" و"اف - 5"، وسرب آخر من "سوخوي - 24" الروسية، الى جانب عدد من طائرات "ميغ - 29" و"اف - 7" و"اف - 14". ولهذا، فان الخبراء يعتقدون عموما ان سلاح الجو الاسرائيلي هو اللاعب الفاعل الاساسي في قدرات اسرائيل العسكرية في حال وقوع مواجهة كبرى مع ايران. لكن ايران حققت تقدما قويا في ميدان مغاير، ومضاد: الصواريخ. يقول خبراء ان الايرانيين تمكنوا ايضا من مزج سلاحي الصواريخ والطائرات، من خلال الطائرات المسيرة (الدرونز) التي انتجوا منها عشرات الالاف وسلحوها لتكون مثابة طائرات "كاميكازي" انتحارية.

واستطاع الايرانيون خصوصا خلال العقد الماضي، ان طوروا قدراتهم الصاروخية بشكل اربك حسابات خصومهم. الجهد الصاروخي الذي بدا يتطور تحديدا خلال الحرب العراقية - الايرانية، اتخذ منعطفات واسعة لاحقا، وتحولت قدرات ايران الصاروخية الى ما يشبه التعويض في الهشاشة الحاصلة في سلاح الجو. بل ان ايران، الى جانب قواعدها الصاروخية المشيدة في الجبال وتحت الارض وعلى عربات ومنصات الاطلاق العديدة في كافة انحاء البلاد، استخدمت ترسانتها من الصواريخ والطائرات المسيرة من اجل خدمة وتعزيز نفوذها الاقليمي ودعم حلفائها: الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في حربه الاوكرانية، وحزب الله في لبنان، وحركة انصار الله اليمنية، وفصائل المقاومة والحشد الشعبي العراقي، والقوات السورية والفصائل الداعمة. ومن المعتقد ايضا ان ايران ساهمت بشكل كبير في توفير المعرفة والخبرة التقنية اللازمة للاجيال الاولى من المقاومين في فلسطين

المفتوح الذي وفرته ايران طوال سنوات لحركات المقاومة في داخل فلسطين، وتحديدًا حركة حماس، اتاح لها، في مواجهة العدوان الاسرائيلي المتواصل، ان تخطط وتنفذ اكثر عمليات التوغل البري جرأة ضد قوات الاحتلال منذ الهجوم السوري - المصري في العام 1973، وذلك من خلال "طوفان الاقصى".

وبحسب المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية، فان اسرائيل تخصص لنفقات الدفاع اكثر بكثير مما تخصصه ايران، فبينما يرصد الايرانيون حوالي 7.4 مليار دولار، ترصد اسرائيل حوالي 19 مليار دولار، اي اكثر من الضعف.

لكن بحسب "فهرس القوة النارية العالمي للعام 2024"، فان ايران تحتل المرتبة 14 عالميا، واسرائيل المرتبة 17. كما ان ايران تتفوق في مجالات عديد القوات، وعدد الدبابات والمركبات المسلحة.

الا ان اسرائيل في المقابل، تتفوق في المجال الجوي، حيث لديها 241 طائرة مقاتلة، وهناك تقديرات اخرى تشير الى امتلاكها 340 طائرة قتالية، مقابل 181 طائرة ايرانية. وبالاجمال تمتلك اسرائيل 612 طائرة مختلفة، بينما يمتلك الايرانيون 551 طائرة مختلفة.

ومن بين الطائرات التي تمتلكها اسرائيل، هناك طائرات "اف - 15" القادرة على قطع مسافات طويلة، بالإضافة الى طائرات "اف - 35" المتطورة تقنيا والقادرة على الافلات من اجهزة الرادار. ولدى اسرائيل ايضا طائرات من طراز "اف - 16". غير انه من المعتقد ان سلاح الجو الإسرائيلي يفتقر الى القاذفات البعيدة المدى، الا انه جرى تعديل اسطول اصغر من طائرات "بوينغ 707" بحيث يمكن استخدامه كمنصات للتزود بالوقود لتمكين المقاتلات من الوصول الى ايران، هو تكتيك ربما يكون قد استخدم خلال الغارة الاسرائيلية على ميناء الحديدية اليمني في تموز الماضي، ما لم يكن سلاح الجو الاسرائيلي قد استعان بطائرات تزود بالوقود من احدى الدول "الحليفة" لاسرائيل في هذه الضربة.

في المقابل، فان الاسطول الجوي الايراني متهالك عموما. فالعديد من طائراتها تعود الى حقبة الستينات، وتضم ايضا طائرات من طرازي "اف - 4" و"اف - 14". ولم تتمكن ايران من تحديث